مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨–١٣؛ ٩: ١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نـزيـدُ وإن لـم نـأكُـلْ لا ننقُصُ* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا معثَرَةً للضعَفاءِ* لأنَّه إن رآكَ أحدٌ يا مَن له العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثانِ أفلا يتقوَّى ضميرُه وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثانِ* فيهلِكَ بسبَبِ علمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجلِه* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيح* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الربِّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإنِّي رسولٌ إليكم. لأنَّ

الدينونة

«إذا تفطّنتُ في يوم دينونتك المرهوب ومجدك المحتجز النطق به أرعب بجملتي وأجزع يا رب. لذلك أهتف إليك أيها المسيح الإله نجّني من كل العقوبات أنا المنكود حظه لما تأتي على الأرض بمجد لتدين البرايا، وأهّلني للوقوف عن يمينك أيها السيد» (إكسابوستلاري أحد الدينونة). هذه الترنيمة هي تعبير وجدان المؤمن الذي يعي، بعد أحدّي الفريسي والعشار والإبن الشاطر وبعد مَثَلي العذارى الحكيمات وأصحاب الوزنات اللذين يسبقان توّاً نص إنجيل الدينونة، أهمية الإستعداد الدائم لاستقبال العريس الآتي، ووطأة المحاسبة الشخصية على ما آلت إليه المواهب المعطاة. لقد هيأت الكنيسة المقدّسة، بالليتورجيا والنصوص الكتابية المختارة لهذه الأيام، للمؤمن المتبصر أن يقيم جردة حساب وإعادة نظر للأولويات، شاملتين عميقتين، فيدخل الأربعين المقدسة بوعي وشجاعة؛ وعي لما هي حقيقة حاله، وشجاعة قاعدتها الرجاء.

العدد ٨/٢٠٠٩
الأحد ٢٢ شباط
أحد مرفع اللحم (الدينونة)
وجود عظام الشهداء القديسين المكرّمة التي صودفت في أماكن أفجانيوس
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الثالث

تجدر الإشارة هنا إلى أن الدينونة على ما نقرأ في الأناجيل وعلى ما ترنمه عبادتنا، هي كشف لخطايا قلوب البشر أكثر منها إجراء لقضاء إلهي أو انتقام. فالذين أعمالهم شريرة هم آثروا الظلمة على النور، وما عاد بوسع الله أن يخرجهم من عماهم. هؤلاء مكتفون بذواتهم، ومصرّون على هذا طوعاً. أما الآخرون، فالمسيح هو يفتح عيونهم فيختارون إذاك الحق، ويأتون تالياً إلى النور (يو ٣: ٢١). مسرى حياة الإنسان على الأرض هو إذاً يصنّفه، والمسيح الآتي في مجيئه الثاني ديّاناً لن يصنّف الناس بل سينقي بيدره وحسب. هذا ما هو عليه نصّنا الإنجيلي لهذا اليوم، بلغة جديدة لا أمثال فيها ولا تصاوير، بل وصف تفصيلي لليوم المرهوب الذي يعتلن فيه انتصار الرب ومختاريه، وانهزام أعدائه ورافضيه.

يبدأ السيد بالإعلان عن مجيئه الثاني دون تحديد الساعة لأن واجب المؤمن أن يبقى يقظاً دائم الجهاد. المسيح سوف يأتي ديناناً لأنه واجه في ناسوته ظلم العالم وجاز فيه

خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١–٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدهِ وجميعُ الملائكةِ القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدهِ* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُممِ فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخرافَ عن يمينهِ والجداءَ عن يسارِه* حينئذٍ يقولُ الملكُ للذينَ عن يمينِه تعالَوْا يا مباركي أبي رِثوا المُلكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتُموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبه الصدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعَمناك أو عطشانَ فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم فعَلتم ذلك بأحد ظافراً. المسيح في العالم جاع وعطش وأُهين ورُذل من الناس وحوكم كالمجرمين، وهو ينبوع كل خير ورحمة وصلاح. من العدل إذاً أن يكون المجيء الثاني في مجد إلهي عظيم يصعق الأشرار. الذين رذلوه في تواضعه سيرونه في سلطانه، والذين تنكّروا لحلاوة رحمته سيذوقون مرغمين طعم جبروته. الذي خلّص العالم بمجد طاعته، هو نفسه يدين العالم بمجد سلطانه. أما الذين رأوا عظمة الإله في تواضعه، هؤلاء سيكون لهم أن يتمتّعوا بمعاينة المجد الذي اشتهوا على الدوام أن يروه.

في التقليد الشريف إشارات إلى أن الأبرار الذين أحبّوا الله في العالم هم أيضاً سيحضرون، وهذا أيضاً عدل: «ألستم تعلمون ان القديسين سيدينون العالم» (١كور٦:٢). أعمال الصالحين هي المقياس الذي ستتم على أساسه إدانة الأشرار وأعمالهم.

في الإنجيل يخاطب الديان الأبرار أولاً لأنه أتى ليبارك لا ليلعن. هؤلاء هم سبب فرحه لأنهم ثمار خلاصه. فهو أتى ليخلّص العالم لا ليدينه. الأبرار صاروا مباركين من الآب السماوي بفضل التصاقهم بابنه الحبيب الذي به سُرّ منذ الأزل، والإبن ينقل إليهم بركة الآب، لأن مَنْ قبِلَ الإبن يقبل الآب، ومَن أحب الإبن يحبه الآب. عندئذٍ يدعوهم الإبن، وقد آن لهم الأوان، إلى أن يرثوا مُلك أبيه، هذا الآب الذي أعطى ابنه الوحيد كل سلطان على الإرث الذي هو في الأصل له.

دعوة الإلتزام بالبر والقداسة مفتوحة للكل من الآب منذ الأزل، وهكذا كان جزاء هذا الإلتزام أيضاً مهيّأً قبل إنشاء العالم، للذين يقبلون دعوة الآب السماوي ويقبلون محبّته وخلاصه. تجدر الإشارة هنا إلى أن الميراث يعطى في ملئه للمختارين، أي الذين اختاروا الله، فيصبحون عن حق شركاء الإبن في ميراث أبيه، متحدين بواسطة النعمة بمَن هو ابن الله بالجوهر.

هنا ينتقل السيد إلى ما استحقّ للأبرار من كرامة ومجد. هم أحبّوه في العالم، وعلى حدّ قوله، باتوا يرون وجهه المبارك كيفما تلفّتوا. هؤلاء أرهبهم الشرف العظيم وكأنهم لا يستطيعون حتى قبوله. من كان الصلاح في قلبه يصنعه في كل وقت غير سائل عن جزاء. إزاء حيرة المتواضعين يأتي كلام السيد ليوضح مفهوم أعمال الخير والرحمة الواجبة على من أحب المسيح. المسيح المنزه عن كل ألم وضعف وحاجة حاضر فعلياً في المسكين والضعيف والمقهور والمرذول، وهو بالفعل جائع إلى البر الذي من أجل إرسائه أتى. صانعو البر في العالم **يحققون استمرار المسيح فيه**. تعلّمنا الكنيسة المقدّسة أن أعمال الرحمة التي عدّدها الرب يسوع ينبغي أن لا تنحصر في إطارها المادي، وإلا كانت شفقة انفعالية لا تؤدي إلى البنيان. عمل الرحمة يؤتي ثماره فقط إن كان موجهاً نحو الإشتراك في عمل المسيح الخلاصي في العالم. فإشباع جوع البطن جيد، لكن إشباع النفوس الجائعة إلى البر، ومداواة جراح العالم بكلمة الخلاص، وكسوة العراة بالفضيلة، هذه هي الأعمال التي تؤهل للمسيح الشريد قلوباً تأويه في العالم، وهي التي تقتحم سجون الخطيئة لتحرر المأسورين فيها. هذا لا يعني أن الأعمال المادية لا ثواب عليها، لكن وكما أن جراح الروح أكثر إيلاماً من جراح الجسد، بنيان النفوس لملاقاة المسيح أكبر ثواباً.

إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره إذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائِكَتِه* لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُرياناً فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبُهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوهُ* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبدي والصِدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

تأمل

يتوجّه الرسول بولس ليس فقط لأبناء عصره بل لنا اليوم نحن أيضاً الذين نزدري في كثير من الأحيان خلاص إخوتنا الضعفاء، لأننا كثيراً ما لا نكترث بما نقول أو بما نأكل، إن كان فلان يتعثّر من كلامي، إن كان آخر من الإخوة يفقد خلاصه. هذا التصرّف يشبه قساوة أولئك الأقوياء الذين يخاطبهم الرسول. إن كان ذوو اليمين هم مباركو الآب، أما ذوو اليسار فهم فقط ملاعين. الله لا يلعن بل يبارك فقط. اللعنات التي جناها ذوو الظلمة هي ثمر حياتهم، والشر في يوم الحساب يأكل نفسه بنفسه. أهل اليسار أيضاً يعترضون، ولكن لا تواضعاً كأهل اليمين بل تهرباً من حمل تبعات قلوبهم المظلمة. عن ذوي اليسار يقول الذهبي الفم أنهم لم يفعلوا بالأعذار سوى تثقيل خطاياهم، فهم لم يتوانوا في واحد من أعمال الرحمة بل في كلّها، حتى تلك الأبسط كعيادة المرضى وزيارة المسجونين. لم يطلب إليهم الرب أن يشفوا المرضى أو أن يحرروا الأسرى، بل أن يواسوهم في شدتهم فقط. كل الظروف تجتمع هنا ضدهم: سهولة المطلوب، رحمة الطالب (الرب) وطول أناته، وشفقة الإنسان الطبيعية إزاء ألم الآخر. الرحمة يصنعها الإنسان مع الإنسان، ولكن الله هو من يقتبلها. من لا يودع في حسابه أعمالاً غايتها وجه المسيح، يجد نفسه يوم الحساب بلا رصيد.

رسالة يعقوب: طلبة البار

بعد ان طلب الرسول يعقوب من الذين يعانون المشقات والمرض خاصة أن يطلبوا صلوات الكنيسة وشيوخها لكي يقيمهم الرب من شدَّتهم ومرضهم، نراه يقودنا إلى ما هو أبعد من الشفاء الجسدي أي إلى الشفاء الروحي من الخطايا، وكل ذلك لكي يتزكّى الإنسان و«ينال إكليلَ الحياةِ الذي وعدَ به الربُّ للذين يُحبُّونَهُ» (يع ١:١٢). فالمرض الروحي بالنسبة ليعقوب، الذي سمع مباشرة كلام الرب، هو أخطر من المرض الجسدي. عندما يخطئ الإنسان فهو يخطئ تجاه الله ونفسه والكنيسة بأسرها كونه عضواً في جسد المسيح، الكنيسة. قد يكون واضحاً للجميع ان الخطيئة تؤذي الإنسان الذي يرتكبها، كما هي إهانة لله ويجب طلب الغفران منه. إلا انه ليس واضحاً في أذهان المؤمنين ان كل خطيئة وإن كانت لم ترتكب ضد الغير، فهي تجرح كرامة الكنيسة وجسد الكنيسة أي الأخوة في الإيمان. فإذا مرض أي عضو من جسم الإنسان مهما كان صغيراً، فإن كل الجسم يتأثر وربما ترتفع حرارته ويُصاب بالإعياء وما شابه.

الرسول بولس يعبِّر عن الوحدة العضوية بينه وبين أهل كورنثوس بقوله: «مَن يضعَفُ وأنا لا أضعَفُ. مَن يعثُرُ وأنا لا ألتَهِبُ» (٢ كور ١١: ٢٩). كما يقول لهم أيضاً في مكانٍ آخر: «فالآنَ أعضاءٌ كثيرة ولكن جسدٌ واحدٌ... تهتمُّ الأعضاءُ اهتماماً واحداً بعضُها لبعض. فإن كان عضوٌ واحدٌ يتألم فجميعُ الأعضاءِ تتألّمُ معه. وإن كان عضوٌ واحدٌ يُكرَّمُ فجميعُ الأعضاءُ تفرَحُ معه» (١ كور ١٢:٢٠ و٢٥–٢٦). إذاً، لأن الكنيسة هي جسد المسيح الحي الواحد فعندما يُخطئ أي مؤمن يصاب الجسد كله فيتأذى لكنه في الوقت عينه يهبُّ لمعاضدة هذا العضو المريض الضعيف وذلك بالصلاة. الشرط الأول لمعاضدة الجسد للعضو هي اعتراف العضو بما ارتكبه للجسد لكي يؤازره. الإقرار بالخطيئة هو الشرط الأول للتوبة وللشفاء من المرض. لذا في هذا المفهوم التصاعدي لأهمية شفاء الروح قبل شفاء الجسد يقول يعقوب: «اعترفوا بعضُكم لبعض بالزَّلاتِ وصلُّوا بعضُكم لأجلِ بعضٍ

هذا التصرّف يشكّل عثرةً للإخوة الضعفاء في ذلك العصر، فماذا نقول عن تصرّفنا اليوم الذي يشكّل عثرة حتى للأقوياء؟

عندما نقتل ونسرق ونتكبّر ونتنعّم ونعامل الأحرار مثل عبيد، كيف لا نعثر الآخرين بذلك؟ لا تقل إن هذا صانع أحذية، والآخر صبّاغ، والآخر نحّاس، بل أنظر إليه كأخ مؤمن. نحن تلاميذ أولئك الصيّادين، العشّارين، العاملين في الخيم، تلاميذ ذاك الذي تربّى في بيت نجّار، ذاك الذي وُضع في مغارة ملفوفاً بالأقمطة ولم يكن له ما يسند إليه رأسه، ذاك الذي تعب من كثرة المسير وكان الآخرون يُطعمونه.

لا تعتبر أبداً العظمة البشرية مقياساً. لا تحترم فقط ذاك الذي يسير في عربات كبيرة، الذي له خدم كثير. لقد صدق القول إن الأخ الحقيقي هو الذي يشبه المسيح أكثر... مَن الذي يشبه الصيّادين أكثر؟ أليس الذي يعيش من عمل يده اليومي، الذي لا يملك عبداً في بيته وهو مصلوب على كلّ شيء، أم هو ذاك المتكبّر والذي يخالف وصايا الله؟ لا تزدرِ إذاً أخاك الحقيقي الضعيف لأنه أقرب إلى صورة الرسل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لكي تُشفوا» (يع ٥: ١٦). لم يحدد نوع الشفاء إنما صار واضحاً من سياق الحديث، من الانتقال من شفاء مرض الجسد إلى غفران الزلّات، إن المهم هو شفاء الروح، وإذا نال نعمة شفاء المرض الجسدي فتكون «نعمة فوق نعمة» (يو ١:١٦). طبعاً الشفاء الجسدي مهم ويجب أن لا نهمله إنما في ترتيب الأولويات هو يأتي بعد شفاء الروح. إذاً، الصلاة لأجل بعضنا تمنح الشفاء الروحي والجسدي. ملاحظة لا بد منها وهي ان الكنيسة الأولى وعت تعليم الرب وكلام الرسول يعقوب فكان الإعتراف علنياً أمام كل الكنيسة، وكان الجميع يحفظون السر ويؤازرون المعترف بالصلاة. ولكن لما صار في الكنيسة إساءة لبعض المعترفين، انتقل الإعتراف إلى الكاهن الذي يمثّل الرعية.

في إطار تشديد أهميَّة الصلاة لأجل بعضنا يقول يعقوب: «طِلبةُ البارِّ تقتَدِرُ كثيراً في فعلها. كان إيليا إنساناً تحت الآلام مِثلنا وصلَّى صلاةً أن لا تُمطِرَ فلم تُمطِر على الأرض ثلاث سنينَ وستة أشهر. ثم صلَّى أيضاً فأعطتِ السماءُ مطراً وأخرجتِ الأرضُ ثَمَرَها» (يع ٥: ١٦–١٨). هذا تعليم عقائدي مهم في موضوع الشفاعة. الله يسمع لنا ومنّا إذا كنا أبراراً، والبار هو الذي يعمل بحسب وصايا الله. ولكي لا يكون كلام يعقوب نظرياً فقط أورد لهم مَثَل ايليا النبي (١ ملوك ١٧–١٨) حول الجفاف والجوع الذي حصل أيام أخاب ملك إسرائيل (٧٨٤–٨٥٣ ق.م.) عندما تكاثر شر الملك والشعب صلّى ايليا إلى الله فتوقف المطر، وما نزل المطر لاحقاً إلاَّ بصلاة إيليا. ولكي يكون كلامه أكثر إقناعاً يقول «كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا»، أي له أهواؤه وضعفاته مثلنا. ولم يقل لهم ان يسوع فعل كذا وكذا. أعطانا نموذجاً إنسانياً مثلنا لكي يقول لنا اننا نستطيع أن نفعل مثله إذا كنا أبراراً. فالأمر في متناول أيدينا، المهم أن يكون لدينا إيمان حي كإيمان إيليا وصبر وثبات عندها تفعل الصلاة فعلها.

أخيراً، وتتويجاً لمفهوم الوحدة التعاضدية داخل الكنيسة يوصي يعقوب بأن المسيحي مسؤول عن أخيه في الإيمان إذا ما ضلَّ هذا الأخ عن الحق وكلمة الله التي وُلد فيها. كل إنسان مسؤول عن خلاص أخيه المؤمن: «أيها الإخوةُ إن ضلَّ أحدٌ بينكم عن الحقِّ فردَّهُ أحدٌ فليَعلَم أنَّ مَن ردَّ خاطِئاً عن ضَلالِ طريقه يُخلِّصُ نفساً من الموتِ ويستُرُ كثرةً من الخطايا» (يع ٥: ١٩–٢٠). المحبة المسيحية الحقَّة تتجلَّى بمحبة المؤمن أن يخلّص أخيه المؤمن. الرسول بطرس يقول في رسالته: «لكن قبل كلِّ شيءٍ لتكن محبَّتكم بعضِكم لبعض شديدةً لأنَّ المحبَّةَ تستُرُ كثرةً من الخَطايا» (١ بط ٤:٨). المسيحي لا يفرح بسقوط أخيه، ولا يشمت به عند سقوطه ولا ينصب الفخاخ له. بل يفرح بخلاص أخيه وبعودته إلى أحضان الآب السماوي: «هكذا أقولُ لكم يكونُ فَرَحٌ قدَّام ملائكةِ اللهِ بخاطئٍ واحدٍ يتوبُ» (لو ١٥:١٠). مَنْ اهتَم بخلاص أخيه يخلّص نفسه وأخاه من الموت وينالا غفران الخطايا.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb